

حوضي

Hadhaudhâ

١- تعريف حوضي عن السلف

يقول الزمخشري في كتاب الجبال والامكنة والمياه : حوضي موضع وقيل جبل في البحر (١) .

ويقول ياقوت في معجم الجغرافي : حوضي جبل في الغرب كانت العرب في الجاهلية تنفي اليها خلعاها . وقال الخازمي : حوض بغير الف جزيرة في البحر . ويقول ايضا الحوض نهر كان بين الحيرة والقادسية (٢) .

وفي القاموس للفيروز ابادي : حوضي وحوض : جبل في البحر كانت العرب تنفي اليها خلعاها . والحضيض القرار في الارض . والحوضي : البعد والنار . والحوضاة : الحوضاة (٣) .

وفي الاغانى (٤) لابي الفرج الاصبهاني قصة نفي ابي محجن الثقفي الى جزيرة في البحر . يقال لها : حوضي . بحراسة ابن جبراء وهرب منه على ساحل البحر ثم التحاقه بجيش سعد بن ابي وقاص في حرب القادسية . وسجنه بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الذي كان نفاذ لادمانه شرب الخمر على رواية . ولجأواته التطلع الى امرأة من الانصار يقال لها شمس كان هويها على رواية اخرى . وقد احتال ابو محجن وهو في حبسه حتى خرج الى الجيش المحارب يوم ارمات وهو اول يوم من ايام القادسية . وبعد ان ابلى بلا حسنا عاد الى سجنه ووضع القيد في رجله . وقد نقل لنا الاصبهاني هذه الايات التي قالها حين تمكن من الهرب من ابن جبراء وهي :

الحمد لله نجاني وخلصني من ابن جبراء والبوصي (٥) قدحيسا

(١) كتاب الجبال والامكنة والمياه ص ٥٠

(٢) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٢٨٩ وطبع مصر ج ٣ ص ٢٩٦ ولعل «في الغرب» مصحفة عن «في البحر» .

(٣) القاموس المحيط والقاموس الوسيط ج ٣ ص ٣٤٠ من طبعة المطبعة الليمنية بمصر

(٤) الاغانى طبعة الساسي ج ٢١ ص ١٣٨

(٥) البوصي ضرب من السفن مغرب بوزي الفارسية



من يجشم البحر والبوصي مركبه	الى حضوضي فبئس المركب التمسا
ابلق لديك ابا حفص مغفلت	عبد الاله اذا ما غار او جلسا
اني اكر على الاولى اذا فرعوا	يوما واحبس تحت الراية القرسا
اغشى الهياج ونفساني مضاعفة	من الحديد اذا ما بعضهم خنسا

٢ — تحقيق حضوضي في نظرنا

وفي تخوم البادية بالقرب من الطريق الذهاب من الحجاز الى العراق بين الازرق (١) والقربات (٢) موضع يعرف الى اليوم بحضوضي وهو يقع على بعد خمس عشرة ساعة بالسيارة من عمان عاصمة حكومة الشرق العربي ويوصل اليه عن طريق الازرق في شرقي عمان ثم من الازرق يسير القاصد اليه بتمريج الى الشمال فيلقى في وسط سهل فيج بحيرة صغيرة مستديرة او كالستدير تعلو وجهها طبقة بيضاء كالشيد المروب ، يظن الذين تمكنوا من الدنو منها ان هذه الطبقة هي مما تكون من ذلك الماء الكاسن الذي لا يعرف من اين ينبع فهي من هذا القليل بطبيعة من البطائح اكثر منها بحيرة من البحيرات .

وفي وسط هذه البحيرة بناء قائم الى الان اشبه بشي بالبياني والقلاع الرومانية التي تكثر في تخوم البادية مثل قصر زيزاء ، وقصر الزرقاء ، وهذا البناء مغمور من جميع جوانبه بماء البحيرة التي لا يجرو على الدنو منها احد لاعتقاد البدو بانها تبئسهم او تلحق بهم كاذى ويقدر احد الذين وصلوا الى هذه البحيرة (٣) ان مساحتها لا تزيد على اربعة آلاف متر مربع ، ويقول ان حول شاطئها عظاما ورفاتا هي عظام او رفات بعض الحيوانات مثل الطيأ والوعول وما ثلغها مما يدلنا على ان هذه الحيوانات قد هلكت بسبب شربها من ذلك الماء الكاسن في تلك الصحراء القاحلة التي لا كلاً فيها ولا ماء ، او ان ما ينتشر حولها من

(١) الازرق ماء في طريق حاج الشام دون نيماء وهو الحد الفاصل بين الشرق العربي

وبين سورية اليوم

(٢) القربات من وادي القرى الى نيماء اربع ليال ومن نيماء الى القربات ثلاث اواربع

ليال والقربات هي دومة وسكاكة والفازة وتعرف اليوم بقربات الملح

(٣) هو « السيد مصطفى وهبي التلي » من وجوه اربد عجلون ومن موظفي حكومة

الشرق العربي سابقاً

الروائح الكريهة والجراثيم القتالة هي التي اودت بهذه الحيوانات فاوردتها
موارد الملكية .

وَيُؤَكِّدُونَ أَنَّهُ لَا يُخَيِّمُ بِالْقُرْبِ مِنْهَا أَوْ يَجْوَاهِرُهَا الْبَعِيدُ قِسْطًا لِمِثْلِهِ الرَّعْبُ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَضَارِهَا وَهِيَ عَنْدهُمْ مَضْرِبُ الْمَثَلِ .

ينسب على ذلك ما قاله شاعرهم النعمان بن عوف شيع قبيلة العدوان المعروفة
بصف بها حالة نفسه عند وفاة قرينته قبل ثلاثة أرباع القرن :

طير الينا بمخيلته كين شعر بي
وبمثل سلك العنكبوت انحدري
وانت ترى ان هذا الشعر البدوي غاية في الرقة والانسجام ، لا تنقص
قيمتي الشعرية عما اتى به امير الشعراء شوقي بك في قصيدته انس الوجود
اذ يقول :

فَتراها ما بين صخرين بحراً

٣- توافق الخواطر في ضرر الحاضرين

بقي علينا ان ننظر هل هذه هي حضوضي التي عناها العرب و كانت منفى خلعتهم؟
ان نفرة الناس من حضوضي اليوم كسفرتهم منها بالامس وتخوفهم منها اكثر
من تخوف ابي محجن الثقفي فهذه الحقيقة تمهد لنا سبيل الظن بانها هي المعنية
وقد مر بنا ان ابا محجن هرب منها الى القادسية في العراق وهي على ما علمت في
الجادة السابلة اليه من الحجاز وقد تكون اذذاك ذات بوضي بمخر في مائها و يصل
الى البناء القائم في وسطها .

ولا تستقرين أبدا تسمية العرب لمثل هذه البحيرة الصغيرة بالبحر وللباء القائم في وسطها بالجزيرة فمثل هذا الماء في وسط جزيرة العرب يستحق ان يدعى بحرا وكل ما قام في وسطه من اليابسة حري بان يسمى جزيرة ، فاتنا نراهم يسمون الأنهار بحارا ويستوحشون من رؤية البحار وركوبها بل يحاذرون اللنو من الأنهار الكبيرة كما كان يفعل الخليفة عمر بن الخطاب وقصته مع عامله عمر بن العاص في مصر وسعد بن ابي وقاص في المدائن لما كتب اليهما « ان لا تجعلوا بيني وبين المسلمين ماء » قصة مشهورة .

وسنبقى على الاعتقاد بأن حضوضى هذه هي التي عناها العرب الى ان يقوم
من الأدلة والبراهين ما يثبت وجود غيرها والله اعلم .
حيقا (فلسطين)
عبدالله مخلص

رأينا في حضوضى

كنا في سابق العهد درسنا هذه المسألة وعالجناها وبحثنا عن موادها فكانت
النتيجة ما يأتي بعض تحقيقه .
قول الزمخشري : موضع وقيل جبل في البحر كلام جلي واضح لا يحتاج الى
شرح او تاويل .

واما قول ياقوت : « جبل في الغرب كانت العرب في الجاهلية تنفي اليه
خلفاءها » ففيه بعض الاشكال ، لكن اذا عرفت ان المراد بالغرب هنا الشام ولا سيما
ما كان منها في الجنوب الغربي زال عنك كل اشكال . اما ان الغرب هو الشام
فقد نص عليه في النهاية . قال في مادة غرب : لا يزال اهل الغرب ظاهرين على
الحق . قيل : اراد بهم اهل الشام لانهم غرب الحجاز الا . قلنا : ليست الشام في
غرب الحجاز بل في شمال غربها لكنهم يتجاوزون في مثل هذا التعبير ومثله كثير
عندهم . ولعل الصواب لان الشام في غرب مساكن العرب لا في غرب الحجاز
وعلى كل حال : كان العرب يسمون الشام غربا وان اختلفت اسباب هذه التسمية .
اذن معنى كلام ياقوت جبل في الغرب : جبل في الشام . والشام تطلق عند
العرب على سورية وفلسطين معا ، فتكون حضوضى في ارض الشام .

وقوله : كانت العرب تنفي اليه خلفاءها . فهذا يعني انه غير بعيد عن بلادهم
بل داخل في ارضهم . وكيف يجوز لهم ان يتفوا رجلا الى بلاد ليست في حكمهم ؟
على ان الذي في معيار اللغة : تنفي اليه خلفاءها (بالغاء) وهو خطأ ظاهر .
اذ لم يكن خلفاء في الجاهلية كما اتينا لم نسمع بخليفة نفي اليه بعد الاسلام .
فالتصحيح ظاهر لاشبهه فيه .

واما قول ياقوت نقلا عن الحازمي : حضوض بغير الف جزيرة في البحر
فليس فيه ما يضاد قولهم جبل في البحر . اذ ما من جزيرة في البحر إلا هي

جبل او سلسلة جبال اذا كانت الجزيرة كبيرة او سلسلة جزر .

واما قول الفيروزبادي : حضوضي وحضوض : جبل في البحر ...
والحضوضي البعد والنار . فقيه ما يهدينا الى معرفة حقيقة حضوضي
لاجرم ان حضوضي لغة في حضوض وزيادة الآلف في الآخر معروفة اشهر
من ان تذكر . وقوله : البعد والنار . يدكرنا بما يقابلها عند اليونانيين بالحضس
او الحضو ولاسيما لانها وردت في احدى نسخ القاموس الموجودة عندنا اذ تنص على
ما يأتي (البعد في باطن الارض والنار) وهو عند اليونانيين Hades, hadou
ويريدون به بلوطن Pluton الاله الروماني وهو اله ما تحت الارض وباطنها
او بعبارة اخرى اله وادي الجحيم او اله مقر الموتى . ولكن يكرم في عدة مدن
مثل تريزنس Trézène وتريفيلىة Triphylie واونتس Oponle وفي عدة
بلدان من فلسطين وتخوم البادية التي بين العراق والحجاز وبالاخص في الموطن
العمقة التي تتصاعد منها الروائح الخبيثة . فكان ينبغي اليها كبار الآئمة والخونة
واعداء المدن او اعداء الوطن وكان يحتفل بعيدة في ١٢ من قلداس تموز اي
في ما يوافق العشرين من حزيران الغربي الحالي .

وقد توسع اليونانيون في معنى كلمة حضوض حتى أطلقوها على كل موطن
يكون مهلكة لمن يذهب اليه . وهذا كله يقوي رأي حضرة صديقنا الكاتب
عبدالله مخلص ولاسيما اذا عرفنا ان مادة (حضض) تقارب مادة (حضو) او
(حضا) من جهة ، ومادة (خضض) من جهة اخرى ، فاذا اعتمدنا على ما ورد في
معنى هذه المواد عرفنا ان الموطن المسمى بحضوض او حضوضي هو مكان يوصل
اليه «خوضا» مائه الضحضاح وهو اول حار كانه «يحضو حضوا» تتصاعد منه
الابخرة المتعفنة فينشأ عنها ما يسمى «بالنار التائهة» عند بعض المحدثين وهو
«الارقان» عند الاقدمين من اجدادنا Feu follet

فلقد صدق اذا الكاتب لان الحضوض هو اسم الاله الذي قد وكل بالنار
وبكل مكان يكون مهلكة للرجل . وحضوضي التي بين الازرق والقرينات هي
الطلولة . فلله در محققنا !

ومما يزيدنا تمسكا برأي صاحبنا العزيز ، ما اعتقادنا بصحة ما ذهب اليه ،

ان عندنا نسخة قديمة من قاموس المجد الفيروز آبادي خطت في سنة ٩٤١هـ وقد فتحنا فيها مادة حرض لئرى ما جاء فيها من الاختلاف عن سائر النسخ المطبوعة او المخطوطة فرائنا يقول : « حرضى : جبل في البحر او جزيرة في السند . وعلم للشار » الا .

قلنا : السند هنا وزان سبب وهو في لسان اهل بادية الشام المعاصرين كل ما حاذى صفة الفرات اليمنى معنا في جزيرة العرب ومتصلا بسورية وفلسطين . فاذا كان هذا هو المعنى المراد هنا من « السند » الواردة في هذه النسخة من القاموس ، كان تأويل « مخلصنا » من احسن ما جاء موافقا لهذا التعبير ، ونحن لم نجد احدا من ذهب الى هذا الرأي الناطق بالحق . من المتقدمين ولا من المعاصرين . ولا بد من ان يتأثر كل من يحاول ان يكتب في هذا الموضوع ويتوخى صدق الرواية ودقة التحقيق .

ومن غريب الاتفاق ان ملوك العراق في عهد الجاهلية - و كانوا يومئذ فرسا - اذا ارادوا نفي واحد من العراق ، نقوا الى مدينة في البطائح غمقة سيئة الهواء كثيرة الرطوبة شديدة الحميات كانها نسخة ثانية من حرضى وكان اسمها (الهفة) والطبري يذكرها باسم طرنابا . اما التبط فكانوا يسمونها (هقاطرنابا) و دونك ما قيل عنها :

الهفة او طرنابا

قال ياقوت في معجمه : « الهفة [وزان شدة] مدينة قديمة كانت في طرف السواد بناها سابور ذو الاكتاف ، واسكنها ابادا لما قتل من قتل منهم في مدينة شمالها لما عصوا عليه ، ونقل من بقي منهم الى هذه المدينة وجعلها محبسا لهم ونهى الرعية عن مخالطتهم ، وامر ان لا تدخل العرب داخل الحصن . فمن دخل بغير اذنه قتل ، وكان كل من سخطت عليه ملوك فارس نفيته الى « الهفة » ووسمها بالنفي واللعن . وكان التبط يسمونها « هفا طرنابا » وآثار سورها بيّنة لم تنرم » الا كلام ياقوت

قلنا : ويؤخذ من كلام الطبري في تاريخه انها كانت في ارض جرجرايا في رقعة البطائح واغلب بلدان البطائح - حتى عهدنا هذا - من اسوأ البلاد مقاما

وهواء. ومعنى (هفا) بالنبطية - والنبطية هي اللغة الصابئية التي هي فرع من اللغة الآرامية واصحابها يفرون من حروف الحلق اذ ليس في لسانهم حاء ولا عين بل هاء وهمزة - المحتجبة [عن الانظار لكثرة ما فيها من الشجر والدغل] ومعنى طرنايا الرطبة فيكون يحصل مجموعها : المدينة المحتجبة بالدغل الرطبة الهواء . قلنا وما كان كذلك من البلاد والمدن لا يكون إلا مهلكة لسكانها .

ومن غريب الأمر ان بعض البغداديين في عصرنا هذا اذا ارادوا ان يدعوا على احد من باب المدح او القندح قالوا . « يامال الهفا » اي من انت جدير لأن تكون من اهل الهفة .

اما موقع الهفة اليوم فلا نعرفه فلعل احد ادباء البطائح يفيدنا عنه بشيء . واذ قد وقع الحديث عن منفين للعرب في عهد الجاهلية فلا بأس من ذكر منقاهم في ايام احتلال الانكليز للعراق فانهم كانوا ينفون الوطني الحر المدافع عن دياره الى هنكهم .

هنكهم

والمعاصرون يقولون ايضا هنجام هي حقيقة باب جهنم على ما وصفها ابن نفي اليها . وقد قال ياقوت عنها : هنكهم بالفتح اسم لجزيرة في بحر فارس قريبة من كيش ولم يزد على هذا القدر .

مع انها حارة صيف شتاء شديدة الحرارة رطبتها . كثيرة الدويبات والهوام ولا سيما السامة منها . قليلة الخيرات وافرة النمل واللغات الى آخر ما تريد ان تصفها بامتثل هذا المعنى : فالنفي اليها العائنهها مولود ثانية في العالم . والعائش فيها يهون عليه بعد هذا ان يعيش في نار جهنم . وكفى لها وصفا .

﴿ أيقال زحف الجيش على العدو ﴾

لا تطالع سطورا تذكر الزحف الا تسمع صاحبها يقول : وزحف الجيش « على » العدو . ولا تكاد ترى كتابا فصيحاً سورياً او مصرياً او عراقياً يخرج عن دائرة هذا الخطأ . مع ان الصواب هو زحف « الى » العدو ونص الفخوين صريح : قال في اللسان : الزحف : الجماعة يزحفون « الى » العدو بمرّة اما زحف الولد فقد يكون « على » اليدين او الرجلين قال الازهري : اصل الزحف العسبي : وهو ان يزحف « على » استه الا . ويجهل القدر كفاية .

والله اعلم